ISSN: 2750-6142

المجلد 3، العدد 7، 2024
Vol: 3 / N°: 7 (2024)

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS

The Integration of Understanding and Interpretation in the Structural-Formative Direction: Towards a Methodological Integration in Literary Sociology according to Lucien Goldman

Ahmed Karim
Mohammed V University, Rabat. Morocco
Email : Karim.socio1@gmail.com

Received	Accepted	Published
8/3/2024	28/4/2024	29/4/2024

DOI : 10.63939/AJTS.39kp4s61

Cite this article as : Karim, A. (2024). The Integration of Understanding and Interpretation in the Structural-Formative Direction: Towards a Methodological Integration in Literary Sociology according to Lucien Goldman. *Arabic Journal for Translation Studies, 3*(7), 239-254.

Abstract

This article aims to examine the key methodological foundations of "Constructive Structuralism" as one of the prominent sociological theories in the history of this intellectual field. It has been closely associated with the French sociological critic Lucien Goldmann in his critical studies of literary texts. The situational tendency emphasizes the use of the interpretive approach, while the interpretive direction insists on the method of understanding. Lucien Goldmann presents a third methodological perspective that seeks to reconcile the approaches of understanding and interpretation in the study of literary works.

Keywords: Genetic Structuralism, Understanding, Explanation, Goldmann

© 2024, Karim, licensee Democratic Arab Center. This article is published under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0), which permits non-commercial use of the material, appropriate credit, and indication if changes in the material were made. You can copy and redistribute the material in any medium or format as well as remix, transform, and build upon the material, provided the original work is properly cited.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 7، 2024
Vol: 3 / N°: 7 (2024)
ISSN: 2750-6142

الجمع بين الفهم والتفسير في الاتجاه البنيوي التكويني: نحو تكامل منهجي في سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان

أحمد كريم
جامعة محمد الخامس، الرباط. المغرب
الايميل: Karim.socio1@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2024/3/8	2024/4/28	2024/4/29

DOI : 10.63939/AJTS.39kp4s61

للاقتباس: كريم، أحمد. (2024). الجمع بين الفهم والتفسير في الاتجاه البنيوي التكويني: نحو تكامل منهجي في سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان. *المجلة العربية لعلم الترجمة*، *3*(7)، 239-254.

ملخص

تهدف هذه المقالة إلى الوقوف على أهم المرتكزات المنهجية لـ"البنيوية التكوينية" باعتبارها إحدى النظريات السوسيولوجية البارزة في تاريخ هذا المبحث المعرفي، والتي تم التقعيد لها مع الناقد السوسيولوجي الفرنسي "لوسيان غولدمان" في دراساته النقدية لمتون النصوص الأدبية؛ فالنزعة الوضعية تُصِرُّ على استخدام المنهج التفسيري، في حين يؤكد الاتجاه التأويلي على منهج الفهم، وبين هذا وذاك يقدم لوسيان غولدمان رؤية منهجية ثالثة يسعى من خلالها إلى التوفيق بين منهجي الفهم والتفسير في دراسة الأعمال الأدبية.

الكلمات المفتاحية: البنيوية التكوينية، الفهم، التفسير، غولدمان، سوسيولوجيا الأدب

© 2024، كريم، الجهة المرخص لها: المركز الديمقراطي العربي.
نُشرت هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0).
تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

المجلة العربية لعلم الترجمة
Arabic Journal for Translation Studies
OPEN ACCESS
المجلد 3، العدد 7، 2024
Vol: 3 / N°: 7 (2024)
ISSN: 2750-6142

مقدمة

مما لا شك فيه أن ظهور العلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر رافقته مشاكل ابستيمولوجية وميثودولوجية، وتساؤلات عويصة حول مشروعيتها العلمية والاعتراف بها ضمن منظومة العلوم التجريبية، سواء على مستوى المنهج أو فيما يتعلق بالتأسيس النظري، وترتبط هذه المشاكل المنهجية والنظرية بطبيعة موضوع العلوم الاجتماعية من جهة، وبالمؤشرات الفلسفية والإيديولوجية التي تخللت مراحل نشأتها و مسيرتها التاريخية. ومن بين أهم المشكلات الابستيمولوجية مشكلة المنهج، وحاولت العلوم الاجتماعية أن تستلهم نموذج العلوم التجريبية، لكن وبالنظر إلى طبيعة موضوعها المختلف تماما عن موضوع العلوم الطبيعية، فقد واجهت العلوم الاجتماعية عوائق ابستيمولوجية حالت دون تحقيق نتائج موضوعية مثلما هو الحال في العلوم الطبيعية، وهذا ما أدى إلى ظهور مناهج للعلوم الاجتماعية مغايرة للمنهج التجريبي، ومن ثمة طرحت مشكلة تعدد المناهج في دراسة الظواهر الاجتماعية، فهناك منهج التفسير الذي تبنته النزعة الوضعية عند أوغست كونت وإميل دوركايم، ومنهج الفهم الذي تبنته النزعة التأويلية عند وليام دلتاي وماكس فيبر، وبين هذا وذاك حاول أنصار البنيوية التكوينية وخاصة المفكر الفرنسي لوسيان غولدمان في علم الاجتماع الأدب شَقَّ طريقٍ ثالثٍ يحاول من خلاله حَلَّ جدلية التفسير والفهم في نظريته السوسيولوجية "البنيوية التكوينية" كمقاربةٍ نقدية للإنتاج الأدبي؛ ونظرا لذلك تهدف هذه المقالة إلى محاولة الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هو السبيل إلى تحقيق التكامل المنهجي في دراسة الظاهرة الأدبية عند لوسيان غولدمان؟ أو كيف يُمْكِنُ تجاوز جدلية الفهم والتفسير في دراسة العمل الأدبي من خلال نظرية البنيوية التكوينية؟

1. الفهم والتفسير في الأدبيات المنهجية السوسيولوجية

1-1. منهج التفسير عند الاتجاه الوضعي

ساهمت التراكمات المتحققة في القرن التاسع عشر في تشكل نزعة وضعية، دعا أغلب منظريها كل من سان سيمون وأوغست كونت في فرنسا وهربرت سبينسر وجون ستيوارت مل في إنجلترا، إلى ضرورة الانخراط في الجو العام للمرحلة، وذلك بالتخلي عن المناهج القديمة (الفلسفية والاستبطانية)، التي كانت تدرس بها الظواهر الإنسانية وتعويضها بمناهج أخرى تستمد روحها من مناهج العلوم الوضعية، أي نقل مبادئ ومناهج العلوم الطبيعية إلى مواضيع الاجتماع والفن والأدب...

وفي هذا الاطار سعى أصحاب الاتجاه الوضعي إلى تبيان أن الدراسات الإنسانية هي علوم قائمة بذاتها، وذلك عن طريق المماثلة بين الظواهر الطبيعية والظواهر الإنسانية، ومن تم فإن الظاهرة الاجتماعية قابلة للملاحظة والتكميم والقياس، وبالتالي التفسير ويقصد به داخل مجال العلم الكشف عن العلاقات الثابتة بين الظواهر واستنتاج القوانين المتحكمة فيها والتي تمكن من التنبؤ بناء على ذلك العلاقة السببية والحتمية بين السبب والنتيجة، وهكذا اعتبر منهج التفسير، في دراسة الظواهر الاجتماعية هو المنهج الوحيد لتحقيق الموضوعية، على أساس ارتباطها السببي، بمعنى دراسة المتغيرات التابعة ضمن رؤية امبريقية وعلمية، بغية الكشف عن القوانين والنظريات، في إطار النسق العلمي السببي، وقد اعتبر الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي "أوغست كونت Auguste Comte" من أشد المدافعين عن هذا الموقف، ودخل دفاعه من زاوية علم

الاجتماع حيت تحدث في هذا السياق عن ما يسمى "الفيزياء الاجتماعية Physique Sociale" كوسيلة علمية سيتمكن من خلالها رفع حالة الاضطراب التي سادت المجتمع في عصره، ويؤسس للحديث عن علمية الدراسات التي تجري على الانسان، لتعد انطلاقة كبيرة للحديث عن موضوعية هذه الدراسات، وأكد أن الفيزياء الاجتماعية هي علم يدرس المجتمع بالطريقة ذاتها التي يدرس بها العلماء الظواهر الفلكية والفيزيائية والكيميائية والبيولوجية، وهذا يحلينا إلى القول أن الفيزياء الاجتماعية هي العلم الوضعي بالظواهر المجتمعية (وقيدي، 1982، 239) يقول في هذا السياق: "ما دمنا نفكر بشكل وضعي في علوم الفلك والفيزياء والكمياء، لابد أن نفكر بالطريقة عينها في السياسة والدين، فالمنهج الوضعي كمنهج علمي نجح في العلوم الطبيعية، لابد أن يمتد إلى كل أنواع التفكير الانساني (آرون، 1981، 87) وبهذا المنظور يكون كونت قد دخل من زاوية علم الاجتماع للحديث عن الموضوعية في العلوم الاجتماعية في إطار وحدة المنهج العلمي، أي أن المنهج المستخدم في معالجة الظواهر الطبيعية هو نفسه المستخدم في معالجة الظواهر الاجتماعية وإن اختلفت هذه الظواهر في تعقدها، وفي عدد الأساليب المستخدمة في دراستها إلا أنها جميعا خاضعة لمنهج واحد.

إن هذا التوجه (الكونتي) لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية، قد تم تعزيزه وإثراؤه من قبل الوضعيين من بعده، واستمرت عملية البناء والتأسيس للدراسة الوضعية للوقائع الاجتماعية بفضل مجهودات الكثير من علماء الاجتماع.

في هذا السياق تبنى أيضا إميل دوركايم مبدأ وحدة المنهج في دراسة الظاهرة الاجتماعية قصد تفسير قوانينها وعللها عبر الربط السببي بين السبب والنتيجة، كما هو الشأن في مجال العلوم الطبيعية حيت عمل على توطيد منهج التفسير كمنهج وحيد للوصول إلى الموضوعية، وفي هذا الصدد يقول دوركايم "فكل ما يطالب به هذا العلم هو أن يعترف الناس بأن قانون السببية يصدق أيضا على الظواهر الاجتماعية، ولكن علم الاجتماع لا يقرر هذا القانون على أنه ضرورة منطقية، بل يقرره فقط على أنه فرض تجريبي أدى إليه استقراء مشروع ، فإنه لما ثبت صدق قانون السببية في نواحي الطبيعة الأخرى، وامتد سلطانه شيئا فشيئا من العالم الطبيعي الكيميائي إلى العالم البيولوجي، ومن هذا العالم الأخير إلى العالم النفسي حق لنا التسليم بأنه يصدق أيضا على العالم الاجتماعي. ويمكننا من الآن أن نضيف الحقيقة الآتية وهي: أن البحوث التي تقوم على أساس هذا المبدأ تميل بنا إلى تأكيد صحته... إن طريقتنا طريقة موضوعية، وذلك لأنها تقوم بأسرها على أساس الفكرة القائلة بأن الظواهر الاجتماعية أشياء، ويجب أن تعالج على أنها أشياء، ولا شك في أن مذهب كل من سبنسر وأوغست كونت يقوم على أساس هذه الفكرة نفسها، وإن وجدت لديهما على صورة مختلفة بعض الشيء" (دوركايم، ترجمة محمود قاسم، 1988، 276-279).

من هنا يتضح أن دوركايم يعتبر منهج التفسير السببي هو السبيل الوحيد للوصول إلى الموضوعية في دراسة الظاهرة الاجتماعية شرط أن يتم تفسيرها تفسيرا موضوعيا عن طريق استبعاد العوامل الذاتية، يعني أن ينظر لها كواقعة مستقلة عن الذات، وذلك في إطار إقامة مسافة فاصلة بين الذات والموضوع، بعيدا عن التأملات الفلسفية الاستبطانية، والتركيز على العوامل الموضوعية والواقعية القابلة للملاحظة والقياس والتعميم. وعليه فالظاهرة الاجتماعية تتميز بخاصية الخارجية، أي أنها توجد خارج الذات ويمكن ملاحظتها وقياسها متل أي موضوع آخر، وفي هذا يقول "ومهما يكن من شيء فإن الظاهرة الاجتماعية يجب أن تدرس على أنها أشياء. وإذا أردنا البرهنة على هذه القضية فلسنا في حاجة إلى دراسة طبيعة هذه الظواهر

دراسة فلسفية، فيكفي أن نعلم أن هذه الظواهر هي المادة الوحيدة التي يمكن اتخاذها كموضوع لعلم الاجتماع، فالشيء هو حقيقة ما يقع تحت ملاحظتنا" (دوركايم، ترجمة محمود قاسم، 1988، 90). أراد دوركايم من خلال هذا أن يؤسس السوسيولوجيا كعلم وضعي شبيه العلوم الطبيعية يستند إلى الملاحظة والمنهج الاستقرائي، ويروم التفسير السببي للوصول إلى محددات وقوانين الظواهر المدرسة ، ولعل هذه المبادئ النظرية والمنهجية التي قام بها كان ينشد من خلالها الوصول إلى الموضوعية، حيث نعتر عليها في دراسته الكبيرة لظاهرة "الانتحار" تكاد تكون نموذجية لمنهج التفسير في العلوم الاجتماعية، حيث اعتمد إحصائيات واستنتج قوانين مفسرة لهذه الظاهرة الاجتماعية، فبناءً على منهج التفسير السببي والذي يقوم على الربط بين المتغيرات المستقلة بالمتغيرات التابعة خلص إلى أن معدلات الانتحار تتناسب عكسيا مع درجة التماسك الديني، لذلك ينتحر البروتستانت أكثر من الكاثوليك، ومع درجة التماسك الأسري لذلك ينتحر العازبون أكثر من المتزوجين، والمتزوجون بدون أطفال اكثر من ذوي الأطفال، وأخيرا مع درجة التماسك السياسي، إذ ترتفع معدلات الانتحار في أوقات الهدنة السياسية والسلم الاجتماعي أكثر من فترات الحروب والأزمات السياسية.

2-1. منهج الفهم عند الاتجاه التأويلي

نشأ منهج الفهم في قلب الفلسفة مع الهيرمينوطيقا والفينومينولوجيا ("إدموند هوسرل" و"مارتن هايدغر" و"هانز غادمير") وتطور بشكل واسع مع كبار السوسيولوجيا خصوصا رواد النزعة الكانطية الجديدة أمثال "جورج سيميل" و"فيلهيلم ديلتاي" و"هينريش ريكيرت"؛ ويقوم على محاولة الكشف عن المنطق التي تسير عليه الظواهر باعتماد أسلوب قريب من الحدس والاستبطان، لذلك فإن العالم الذي يشتغل بهذا المنهج لا يَدَّعِي النفاذ إلى قلب الظواهر، فحيوية وديناميةهذه الأخيرة، يجعله مركزا أكثر على حركتها الخارجية متبعا إياها إلى حين تكوين فكرة عن كيفية عملها، مقدما في الأخير فهما تأويليا لها، وأيضا ما يميز الفهم هي البداهة والوضوح، وإدراك التجربة المعاشة إدراكا مباشرا، دون إخضاعها للتفسير العلي والارتباط السببي، أي ندرك بعض الظواهر والوقائع بالبداهة دون التعمق في الأسباب والعلل، وتفسير الوقائع تفسيرا علميا موضوعيا للبحث عن الحتمية أو الجبرية بين الظواهر المدروسة. يقول السوسيولوجي الفرنسي جول مونرو "إن الفهم هو إدراك لتجربة معيشة تعطانا كتجربة بديهية (...)، والفهم بالمعنى الذي نشير إليه في هذا المقام، هو دوما فهم لوضعية وجودية وجدانية، فنحن نستطيع تفهم وضعية ما أو فهم تطورها. وعلى خلاف العلاقات القابلة للفهم، تقوم العلاقات التفسيرية (....) على الاعتقاد بصحة جملة من الطرائق والاجراءات الموضوعية، فالفهم بداهة مباشرة، في حين أن التفسير هو تبرير أو تعليل حدوث ظاهرة ما بافتراض ظاهرة أخرى" (مونرو، 1946، 38-42). يتضح هنا أن أحادية السبب في تفسير الظواهر والأفعال الإنسانية صعبة المنال، لأن السبب الواحد لا يمكن أن يؤدي بالضرورة إلى نفس النتيجة، كما أن ردود الفعل الناتجة لا يمكن أن تعود إلى سبب مألوف، لذا يجب التعامل مع الظواهر الإنسانية كمعطى بديهي من خلال تشكيل فهم موضوعي استنادا إلى علاقة الفعل بالتجربة المعيشة. وقد استعمل منهج الفهم في العلوم الإنسانية مع فلهلم دلتاي عندما كتب مقدمة حول ما يصطلح عليه بـ"علوم الروح" عالج من خلالها الاختلاف والتمايز القائم بين العلوم الطبيعية والعلوم الروح (الاجتماعية) حيث نجد الأولى تقدم إلى الوعي باعتبارها موضوعات خارجية ومستقلة ومعزولة عن الذات وتحتاج إلى التفسير، وأن الثانية على عكس من ذلك، تقدم إليه بوصفها ظواهر مفعمة بالحياة والحركية وتحتاج إلى الفهم، يقول دلتاي "إننا نفسر الطبيعة ونفهم الانسان" (ديلتاي، ترجمة سيلفيا ميزور، 1992، 37)؛ ويعني هذا الظواهر الطبيعية تخضع للتفسير السببي، بينما الظواهر

الإنسانية تخضع للفهم التأويلي، أي إدراك المقاصد والنوايا والغايات التي تصاحب الفعل والتي تتحدد بالقيم التي توجهه، ويتم النفاذ إلى هذه الدلالات بواسطة التأويل، وهنا تحضر الذات بقوة في عملية الفهم والتأويل كذات عارفة ومشاركة ومتفهمة لموضوعها.

فالعلوم الاجتماعية هي فكر كامن في جوانية الفرد، والحقيقة التي يسعى إليها الباحث في هذه العلوم لا تقع خارج الذات وإنما بداخلها ومحايثة لنشاطها المعرفي، ومن هذا المنظور تصبح العلوم الاجتماعية المرآة التي يرى منها الباحث ذاتيته ويكتشف من خلالها حقيقته فالعلوم الاجتماعية "علاقة بمعرفة الذات،....تربط الباحث بذاته عبر عنصر التراث كفهم جذري للذات وتناهيها، حقيقة التراث المدروس (الحدث التاريخي، الأثر الفني، أو الأدبي...) هي في الواقع حقيقة بالنسبة إلى الباحث الدارس، حقيقة كما يتمثلها وينتجه" (غادامير، ترجمة محمد شوقي الزين، 2006، 17).

إذا كان التفسير يتجه نحو الكشف عن العلاقات العلية والسببية بين الظواهر موضوع الدراسة ضمن المنظور الوضعي، فإن الفهم يتجه نحو إدراك الذات في علاقتها بالوجود، أي أن الفهم معرفة واضحة وبديهية ومباشرة، تساعدنا على وعي واستيعاب تجارب الذات بشكل واضح، فضلا عن ذلك أن الفهم فعل ذاتي واعي باطني مرتبط بالذات المدركة أو الذات الفاهمة التي تسعى جاهدة لإدراك العالم الخارجي مباشرة، والفهم مرتبط بسؤال (لماذا؟) أما التفسير فيرتبط بسؤال (كيف؟)، ومنه فالذات حاضرة في عملية الفهم، وغائبة أو حيادية في عملية التفسير، وهذا ما جعل التساؤل يتمحور حول إمكانية تحقيق الموضوعية؟ بالنسبة ل دلتاي يجيب عن السؤال بالإيجاب، إذ توجد إمكانية تحقيقها، لأن الباطن الذاتي يتجلى دائما في العلامات الخارجية الخاضعة لإدراك الحسي والفهم العقلي، إذ أن "الموضوعية ممكنة للمعرفة الخاصة بعلوم الانسان شرط تزامن محتمل للمفسر مع موضوعه مقابل (ما هو بعيد مكانيا وغريب لغويا)، يجب على هذه الموضوعية أن تنقل نفسها إلى (موقف المؤلف بعيد عن زمن ومحيط المؤول)، ويحقق التزامن في علوم الانسان الوظيفة ذاتها كما تحقق علوم الطبيعية قابلية إعادة التجربة، وهنا يتحقق ضمان قابلية تبادل ذات المعرفة" (هابرماس، ترجمة حسين الأصقر، 2001، 218-217).

هكذا يكون دلتاي جعل من الفهم منهج العلوم الاجتماعية يستقيم معه تحقيق شرط الموضوعية بإقامة قطيعة مع العلوم الطبيعية وتأسيس علوم الروح تقوم على الفهم والحدس والاستبطان والتأويل في دراسة ظواهرها بشكل موضوعي يسمح للدراسات السوسيولوجية أن ترقى إلى مستوى العلمية.

وعلى خطى "وليام دلتاي" في محاولة تأكيده على خصوصية العلوم الاجتماعية بالنسبة لعلوم الطبيعية سواء من حيث الموضوع، لأن الأولى موضوعها الانسان والثانية موضوعها الطبيعة، وكذلك من حيث المنهج الذي يتمثل في الفهم التأويلي الهيرمينوطيقي هو المنهج الخاص والمناسب للعلوم الاجتماعية، فقد ذهب عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر إلى أن العلوم الاجتماعية تتميز عن العلوم الطبيعية فهي علوم ثقافية، إذ أن موضوعها ليس طبيعيا وبالتالي فهو لا يتسم بالانتظام والإطراد كما هو الأمر في الظواهر الطبيعية، مما يقود النظر إلى الظواهر الإنسانية بما هي ظواهر ثقافية وتاريخية تتميز بالعمق الذاتي والوجداني تعتمد التبصر والاستبطان والغوص الذاتي القائم على صبر أغوار المعنى والدلالة الباطنية في سلوك

الإنسان، وباختصار "يشكل الفهم والتأويل والتفسير ثلاث مراحل أساسية في مستويات المنهج السوسيولوجي عند ماكس فيبر" (فلوري، 2008، 29).

يشكل الفعل الاجتماعي مقولة مركزية في سوسيولوجيا فيبر، فالفعل الاجتماعي يشكل النواة التكوينية المشكلة للمجتمع والسلوك الإنساني برمته، والفعل الانساني عند فيبر فعل غائي يتمثل في سلوك الفرد أو مجموعة من الأفراد الذين يسلكون ويتحركون في المجتمع وفق الغايات والنوايا والمقاصد ، وهنا يكمن بيت القصيد عند فيبر، وذلك لأن فهم السلوك الاجتماعي يتمحور حول مقاصد الفعل الاجتماعي وغاياته ونواياه، (النوايا سابقة للفعل ومحركة له) والنوايا التي تحكم السلوك الانساني تكون غالبا خفية ومضمرة في العمق الانساني ولا تكون ظاهرة دائما في الفعل الاجتماعي، أي نشاط الفرد أو سلوكه، وكذلك في أفعال الجماعات، ومن أجل فهم هذا السلوك وتحليله يجب على الباحث أن يعمل وفق منهجية تفهمية تأويلية تمكنه من إدراك الفعل الانساني من مدخل الغايات والنوايا وليس من مدخل الحتمية والربط السببي الآلي (السبب والنتيجة) التي يعتنقها الوضعيون، لأن المناهج الوضعية تقوم على إدراك ظاهر السلوك وليس باطنه، لأن السلوك الانساني يستبطن غاياته، وجب أن نفهم السلوك بطبيعته الغائية لا بمظهره المفرغ من الدلالات والمعاني.

وفي هذا السياق يقول: "نسمي علم الاجتماع العلم الذي يأخذ على عاتقه تفهم النشاط الاجتماعي بالتأويل، بتأويله تم بتفسير مساره ومفاعيله تفسيرا سببيا" (فلوري، 2008، 29)؛ وفي سياق آخر يقول: "إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي" (كابان ودورتييه، ترجمة إياس حسن، 2010، 48-47). من هنا، فإن موضوع العلوم الاجتماعية حسبه ليس هو "الوقائع الاجتماعية" كما كان يظن دوركايم، وإنما هو "الفعل الاجتماعي" بما هو فعل ثقافي مشروط اجتماعيا وثقافيا وتاريخيا بمجموعة من الدوافع والمقاصد التي تستدعي الفهم التأويلي، وهنا يأخذ فيبر بعين الاعتبار موقع الذات العارفة في دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها ظواهر غائية ومحدودة بهدف مقصود وبحوافز ممكنة وتقبل أن تكون موضوع تأويل تفهمي .

وماكس فيبر في هذه السوسيولوجيا التفهمية يفترض أنه بإمكاننا أن نجد في ذواتنا دوافعَ كلِ فردٍ إنسانيّ، وبالتالي فمهمّة السوسيولوجيا هي الفهم بواسطة تأويل الفعل الاجتماعي لتتمكن بعد ذلك من تفسير وتفهم المعنى الذي يعطيه الإنسان لسلوكه.

وإذا كانت الظاهرة الفيزيائية تعتمد في دراستها على التفسير والتنبؤ فإن الفعل الإنساني عكس ذلك، يخضع للتأويل والفهم الذي يساعدنا على فهم مقاصد ودلالات وغايات الفعل الإنساني التي تحددها الذات، لأن الواقع الاجتماعي مجرد حالات غير متجانسة من حيت المعاني التي ينتجها الأفراد حوله، كما أن هذا الاخير غير معطى ويتطلب الغوص في ذاتية المبحوث لاستخراج الموضوعي من الذاتي، ذلك أن الموضوعية تتحقق كلما يغوص الباحث في ذاتية المبحوث عن طريق الكشف عن النوايا والمقاصد التي تتضمنها هذه الذاتية. وهذا لن يتحقق إلا باستخدام المنهج الفهم التأويلي الذي يمكن الباحث من الغوص في ذاتية المبحوث. وباختصار فإن فيبر "يعد الفعل الإنساني، هو فقط ذلك السلوك أو النشاط الذي يمكن أن ننسب إليه قصد أو معنى ذاتي لتبرير ما قام به الفاعل من نشاط" (شباط، 2013).

وفقاً لمنظور فيبر وتعريفه للفعل الاجتماعي، لابد من فهم السلوك الاجتماعي أو الظواهر الاجتماعية على مستويين:

المستوى الأول: أن نفهم الفعل الاجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم؛ أما المستوى الثاني فهو أن نفهم هذا الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي.

ولكي نفهم عمل الفرد وأفعالَه أو سلوكَه الاجتماعي على مستوى المعنى لابد من النظر إلى دوافعِ الفرد ونواياهُ واهتماماتِه والمعاني الذاتية التي يعطيها لأفعاله والتي تكمن خلف سلوكه، أي أنه لابد من فهم معنى الفعل أو السلوك على المستوى الفردي ومن وجهة نظر الفرد نفسه صاحب هذا السلوك وبنفس الطريقة لابد من النظر إلى النوايا والدوافع والأسباب والاهتمامات التي تكمن وراء سلوك الجماعة التي يعتبر الفرد عضواً فيها. أي أنه لابد من فهم الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي ومن وجهة نظر الفرد كعضو في جماعة. إذاً لابد لنا من أخذ هذين المستويين في الاعتبار عند دراستنا وتحليلنا لفهم وتفسير الفعل الاجتماعي الإنساني للفرد سواءٌ من خلال مواجهته للظواهر الاجتماعية بنفسه أو من خلال مشاركته للجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها.

إن الفعل لا يصبح اجتماعيا إلا إذا ارتبط المعنى الذاتي الذي يعطيه الفرد للفعل بسلوك الأفراد الآخرين. وهنا تركز نظرية الفعل الاجتماعي على الأسلوب الذي يتفاعل به الأفراد فيما بينهم من جهة وفيما بينهم وبين المجتمع من جهة أخرى وعلى الدور الذي يلعبه الفعل الاجتماعي في تكوين البنى الاجتماعية. وهذا التفاعل بين الأفراد المجتمع يشكل الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع، والانسان الفاعل يتميز بأنه "إنسان كائن واع يتصرف بوعي، تحركه مقاصد وأهداف، وذلك على عكس الأشياء التي يمكن إخضاعها للدراسة العلمية، وهذا يعني أن علم الاجتماع يجب أن يركز على فهم الفعل الإنساني والتفاعل القائم في المجتمع بين الأفراد" (حمداوي، 2018).

وهكذا تسعى المقاربة التفهمية الفيبيرية إلى فهم الظاهرة الاجتماعية، باستخلاص دلالات أفعال الأفراد واستكشاف معانيها ومقاصدها وغاياتها ونواياها، وفي هذا السياق "نجد أن الفهم الفعل الانساني حسب فيبر ليس مسعى سيكولوجيا، بل هو السعي إلى فهم السيرورة المنطقية التي تقود الفاعل الاجتماعي إلى اتخاذ قرار ما في ظرف خاص، إذ ينبغي إعادة تشكيل المنطق الفعلي للفاعل كما ينبغي، أيضا فهم الجانب اللاعقلي في سلوكه تبعا للأهداف التي تتوخاها الوسائط التي يتوسلها من أجل التوصل إلى فهم تفسيري للفعل (بريشي، 2000، 80)، وهذا ما ذهب إليه في كتابه عن الرأسمالية حيث بيّن بأن الأخلاق الكالفينية البروتستانتية هي التي ساهمت في نشأة الرأسمالية، والدليل على ذلك، الأفعال السلوكية كحب العمل، وحسن التدبير، والادخار، والاهتمام بتراكم الثروات، والابتعاد عن الزهد والتقشف والانطواء السلبي الذي نجده في الديانة الكاثوليكية.

وفي إطار مقاربته التفهمية التأويلية التي تقوم على استخلاص المقاصد والمعاني والنوايا الكامنة وراء السلوك الانسان عن طريق الفهم والتأويل والاستبطان الداخلي الذاتي شيد فيبر نموذج جديد يتواقف مع رؤيته المنهجية أطلق عليه النمط المثالي، أو النموذج المثال (Ideal Type). وهو يمثل منهجية متفردة يراها الأفضل في مقاربة الظواهر الاجتماعية والسلوك الانساني.

يقصد فيبر بالنموذج المثالي ذلك البناء النظري الذي يبنيه الباحث حول ظاهرة أو نمط سلوكي معين ويرتبط هذا المفهوم بمفهوم الفهم بما أن " كل نموذج مثالي هو تنظيم لعلاقات قابلة للفهم خاصة بمجموعة تاريخية أو نسق حدثي" (آرون، 1881، 591). وبناء عليه يتبين أن النموذج المثالي لا يبنى على أساس مطابقته للواقع، بل هو وصف نظري ومنطلق منهجي يعتمده الباحث للولوج إلى ساحة الفعل الاجتماعي قصد استكشاف الظواهر ودراستها. فهو إذن جدول تفكير متناسق يقيمه الباحث ويتوسله في دراسة الظواهر الاجتماعية.

لقد استعمل فيبر تقنية النموذج المثالي لدراسة العديد من الظواهر الاجتماعية، بل نجح في كشف الامتدادات التاريخية لبعض الظواهر انطلاقا من هذا المنطلق نفسه؛ بإقامته نماذج أربعة للفعل الإنساني تختلف باختلاف معانيها ومقاصدها من خلال التفاعل الاجتماعي بين الفاعلين الاجتماعيين، وهي كالتالي :

- **الفعل التقليدي:** ينبني هذا الفعل على العادات والقيم والتقاليد والأعراف، الأنشطة اليومية من قبيل اللباس والأكل.
- **الفعل الوجداني أو العاطفي:** هو ذلك الفعل الذي توجهه المشاعر والوجدان مثل اللوم والمعاتبة العاطفية.
- **الفعل الأخلاقي:** هو فعل الذي يتجه صوب القيم، له درجة عالية من الوعي الاخلاقي ويظهر في صور التضحية والإيثار ونكران الذات مثل التضامن الحقوقي والإنساني.
- **الفعل العقلاني الهادف:** يرتبط هذا الفعل بالتخطيط والترشيد العقلاني والتدبير الجيد، أي يخطط قبل التنفيذ ويقارن بين الامكانيات المتاحة قبل العمل للوصول إلى الهدف، ويحلل النتائج المتوقعة الناتجة عن هذا الفعل المرتقب، مثل الاستراتيجية التربوية أو الاقتصادية أو العسكرية.

3-1. نحو تكامل منهجي في علم الاجتماع

تتنوع منظورات علم الاجتماع في تناولها لدراسة الواقع الاجتماعي تحليلا وتفسيرا، إلا أن جميعها وبشكل أساسي تستند إلى مجموعة من المداخل النظرية والمنهجية التي تمثل زاوية اقترابها من المجتمع البشري نظريا وعمليا (تطبيقيا)، كما تحكم هذه المداخل ثنائية الذاتية والموضوعية، فالمدخل الأول موضوعي يستند على منهج التفسير السببي العِلّي، والمدخل الثاني ذاتي يستند على منهج فهمي تأويلي يحاول فهم الفعل الانساني وتأويله داخل بنية مجتمعية ما، برصد مختلف الدلالات والمعاني والمقاصد التي تعبر عنها هذا الفعل أثناء عملية التفاعل الاجتماعي، يسميها إدغار موران بـ"الخطاب السوسيولوجي الإنشائي"، حيث تراهن على ضرورة إحداث قطيعة مع العلوم الفيزيائية وإيجاد طريقة جديدة تنسجم مع خصوصية الظواهر الاجتماعية، ومما يميزها أنها تنطلق من الذات وتتخذها محور المعرفة وأساسها، ويعتبر موران من أنصار المنهج التركيبي أو التكاملي في تفسير ودراسة المشكلات الإنسانية، يقول موران في هذا الصدد " لقد كان مفهوم الذات غير مستساغ من طرف المعرفة العلمية، لأنه كان مفهوما ميتافيزيقيا ومتعاليا (...)، ماذا يعني أن يكون إلا ذاتا اليوم؟ إنه يعني أن يضع الإنسان نفسه في قلب عالمه (...)، فالذات هي بالجملة الموجود الذي يحيل إلى ذاته وإلى الخارج والذي يتموضع في مركز عالمه" (موارن، 1984، 11-18)، ومن تم يعتمد علم الاجتماع على منهجين رئيسين هما التفسير السببي الموضوعي والفهم التأويلي الذاتي؛ فالأول يرى

أن الممارسة العلمية الاجتماعية تقوم على أنقاض الذاتية واستبعادها، أما الثاني يرى أن الممارسة العلمية الاجتماعية تقوم بموازاة الذاتية وانخراطها بشكل واعٍ وإيجابي في مراحل البحث العلمي الاجتماعي.

وهذا الانقسام والانشطار الحاصل على مستوى المنهج في علم الاجتماع جعل بعض علماء الاجتماع يستقر رأيهم حول موقف توفيقي يرفض هذه الثنائية متجاوزا الخلاف الحاد بين الاتجاهين، ومؤسسا لتصور جديد يؤمن بفكرة التكامل المنهجي وإيجابيتها، في إطار جدلية الفهم والتفسير، والكم والكيف، والبنية والفعل. وبما أن الظاهرة الاجتماعية، ظاهرة حَيَّة ومتغيرة ومستقلة عن وعي الأفراد، تفسر وتفهم في الآن ذاته، ذلك أن الاستفادة من العلوم التجريبية في مناهجها وأنموذجها العلمي التفسيري، لا يلغي خصوصيتها وفرادتها، كما أن محاولة فهمها وتأويلها، من خلال استخلاص دلالاتها والقيم والمقاصد والنوايا التي تنطوي عليها، لا يؤثر كذلك في طبيعتها أو يجردها من سياقاتها الاجتماعية والثقافية والدلالية الفعلية. سيسعى رواد المنهج التوفيقي التأسيس لنموذج منهجي تركيبي تكاملي في علم الاجتماع يتماشى وطبيعة المواضيع الاجتماعية ويجمع بين كل الثنائيات العلمية والمنهجية و يتوخى تحقيق الموضوعية في مقاربة الظواهر الاجتماعية، مؤكدين أن حجة هذا الخيار المنهجي ترتبط أساسا بحسن التوظيف العلمي له، ومنطلقين في الآن نفسه من مبدأ مؤداه أن الظاهرة الاجتماعية محكومة بعلاقة من الأسباب والعلل والحتميات، كما تحمل في عمقها دلالات ومقاصد ونوايا ومعاني، وحينما يتم تحقيق التكامل المنهجي بين هذا المدخلين معا، يمكن تأهيل الظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة للتحليل السوسيولوجي الموضوعي.

لا نغفل أن رهان التوفيق بين منهجي التفسير والفهم، يعتبر محاولة ابستمولوجية محفوفة بالعديد من التحديات؛ بحيث إن التفسير يقتضي النظر إلى الظاهرة الاجتماعية باعتبارها أنساقا مادية ثابتة ومستقلة عن وعي الأفراد، وهذا الرهان الوضعي يفرغ الظاهرة من جوهرها وروحها المعنوية، لكن بالسعي نحو فهمها وتأويل معانيها ودلالاتها قد يفسح المجال لذات الباحث لتمرير قناعاته والتعبير عن أفكاره، وبالتالي تصبح الظاهرة المدروسة جزءا من وعي الباحث وذرة في نسقه الثقافي والفكري.

2. البنيوية التكوينية كخيار منهجي يجمع بين الفهم والتفسير في سوسيولوجية الأدب

2-1. البنيوية التكوينية: المفهوم والتأصيل

تُعَدُّ البنيوية التكوينية Structuralisme Génétique أو التوليدية منهج متفرع عن الاتجاه البنيوي ذي الأصول الفلسفية الماركسية تحديدا، في محاولة للتوفيق بين الاتجاهات البنيوية في صيغتها الشكلانية، وأسس الفكر الماركسي أو الجدلي، الذي يركز على التفسير المادي الواقعي للفكر والثقافة عموما (وفقاً لويكيبيديا)، ولعل ما يعزز هذا التأصيل، هو انخراط أسماء فلسفية كبيرة في مقاربة هذا الاتجاه على غرار "جورج لوكاتش" و"جان بياجيه" صاحب السبق في تحديد هذا المصطلح أي "البنيوية التكوينية" وفي علم الاجتماع نجد كل من "بيير بورديو" و"لوسيان غولدمان"، غير أن المفكر الأكثر إسهاما من غيره في تلك الصياغة هو "لوسيان غولدمان" وكانت جل دراساته تستلهم من أفكار المفكر والناقد "جورج لوكاتش" الذي طور النظرية النقدية الماركسية باتجاهات سمحت لتيار كالبنيوية التكوينية بالظهور وعلى النحو الذي ظهرت به، في الوقت الذي أفاد فيه أيضا من دراسات عالم النفس السويسري "جان بياجيه". يقول صلاح فضل: *"هناك مدرسة بنائية تطلق على نفسها*

التوليدية، وأكثر ممثليها، هما العالم النفسي جون بياجي، والناقد الكبير لوسيان غولدمان، يقدم الأول تصورا نظريا متكاملا عن البنية، بينما يتولى الآخر تطبيق هذا التصور في مجال الدراسات الاجتماعية للأدب" (فضل، 1998، ص 128)؛ وقد أشار "غولدمان" إلى تأثير "بياجيه" تحديدا في استعماله لمصطلح البنيوية التكوينية:*"لقد عرفنا أيضا العلوم الوضعية وبتحديد أكثر المنهج الماركسي بتعبير مماثل تقريبا استعرناه، علاوة على ذلك من جان بياجيه، هو البنيوية التكوينية..."* (وفقاً لوكيبيديا).

السوسيولوجيا الجدلية للأدب أو "البنيوية التكوينية" هي مقاربة سوسيولوجية وظيفية، تهدف إلى دراسة الظواهر الأدبية والفنية والثقافية فهما وتفسيرا، بغية رصد رؤى العالم، من خلال عقد تماثل ضمني بين الأدب والمجتمع؛ وإذا كانت البنيوية اللسانية تدرس النص باعتباره نسقا بنيويا داخليا مغلقا، فإن "البنيوية التكوينية" مع منظرها "لوسيان غولدمان"، تدرس النص على أنه بنية وظيفية منفتحة على الخارج الإحالي والمرجع النصي الواقعي، وهنا تلتقي البنيوية مع الواقعية الجدلية في استقراء الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والثقافية، والاستفادة من آراء كارل ماركس، وهيغل، وأنجلز، وماكس فيبر، ولوي ألتوسير؛ إلا أنها تختلف عنها في مفهوم الانعكاس الواقعي، فإذا كانت الواقعية الجدلية ترى أن الأدب مرآة تعكس الواقع بطريقة مباشرة، فإن البنيوية التكوينية ترى أن الأدب بنية جمالية وفنية مستقلة بنفسها.

2-2. ثنائية الفهم والتفسير في اتجاه البنيوي التكويني

إذا كانت البنيوية اللسانية مع فرديناد دو سوسير، وكلود ليفي شتروس، ورومان جاكبسون، ورولان بارت، وغيرهم تعتمد على التفكيك والتركيب في تشريح الجانب الداخلي للعمل الأدبي، فإن البنيوية التكوينية، تعتمد على الصعيد النظري والمنهجي، وتنبني على خطوتين منهجيتين إجرائيتين في دراسة العمل الأدبي في جانبيه الجمالي الشكلي (الفهم) والاجتماعي المضموني (التفسير).

- الفهم والتفسير Compréhension et Explication

الفهم هو التركيز على النص ككل دون أن نضيف إليه شيئا من تأويلنا أو شرحنا، بينما التفسير هو الذي يسمح بفهم البنية بطريقة أكثر انسجاما، مع النص المدروس ويستلزم التفسير إحضار العناصر الخارجية المساعدة، في تكوين النص والمحيطة به، لكي تتم عملية الفهم للبنية الدلالية، بصورة واضحة ودقيقة، فالفهم والتفسير عمليتان مرتبطتان، ولا يمكن أن نفصل بينهما في أي حال من الأحوال. (فضل، 2007، ص 35)

إن هذا القول يوحي على التكامل بين داخل النص الإبداعي والواقع الاجتماعي التاريخي، فكر أو أثر إبداعي لا يكتسي دلالته الحقيقية إلا عند اندماجه في شق الحياة أو السلوك، ضف إلى ذلك ألا يكون السلوك الذي يوضح الأثر هو غالبا سلوك الكاتب نفسه، بل سلوك الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الكاتب بالضرورة.

3-2. الجمع بين الفهم والتفسير في سوسيولوجيا الأدب عند لوسيان غولدمان

يعتبر لوسيان غولدمان من أهم السوسيولوجيين الذين جمعوا بين الفهم والتفسير في دراسة الأثر الأدبي والثقافي، ضمن ما يسمى بسوسيولوجيا الأدب والنقد. وتسمى منهجيته السوسيولوجية بالبنيوية التكوينية. والهدف من هذه المقاربة هو دراسة الأعمال الأدبية والفنية والجمالية بغية تحديد رؤى العالم، بالاعتماد على خطوتين إجرائيتين متكاملتين هما: الفهم والتفسير.

- مرحلة الفهم

يركز الاتجاه البنيوي مع لوسيان غولدمان في مرحلة الفهم على فصل العمل الأدبي عن علة الوجود أي عن المعطيات الاجتماعية والتاريخية والسياسية والاديولوجية، لكن هذا الفصل متعلق بمرحلة الفهم فقط، يقول غولدمان في كتابه 'الماركسية والعلوم الإنسانية الفهم':*"تتعلق القضية بالانسجام الداخلي للنص، وهو يفترض أن نتعامل حرفيا مع النص، كل النص، ولا شيء غير النص يبحث داخل النص عن البنية الدلالية الشاملة"* (Goldmann, 1970, p. 62)، وذلك *"بهدف الكشف عن بنيته الدالة"* (عيلان، 2008، ص 266)، فعملية الفهم تتم داخل سراديب النص ولا خارجه. وبهذه الخطوة يتمكن الناقد من استنباط المعنى العام للنص ومعرفة مدى التحام أجزاء النص بعضها البعض وإدراك دور هذا الالتحام في تشكيل البنية الدالة للعمل الأدبي، فتحليل أي عمل أدبي يجب أن يتجه في المقام الأول إلى بنية العمل الداخلية وفهمها، لأن الغاية من مرحلة الفهم حسب غولدمان هي إبراز البنية الدالة للعمل الأدبي، وعليه فإن أهم مبدأ يقوم عليه منهج الفهم هو مبدأ المحايثة، فمن خلال هذا المبدأ استطاع "لوسيان غولدمان" أن يتجاوز السوسيولوجيا المبتذلة كما يسميها، والتي تعتمد في دراستها للأعمال الأدبية على المعطيات الخارجية التي أدت إلى إنتاج هذه الأعمال دون الالتفات إلى خصوصيتها باعتبارها قائمة أساسا على تشابك وترابط وانسجام مجموعةٍ من الأجزاء والعناصر بعضها البعض، وهذا ما يمنحها قيمة فنية وخصوصية ذاتية.

وعليه يُعد الفهم ركيزة منهجية إجرائية تهتم بالإطار الداخلي للنص، بخلاف التفسير الذي يهتم بالمستوى الخارجي للنص، ولذلك فإن مرحلة الفهم، مرحلة مهمة في التحليل التكويني، إذ تُعتبر ركيزة أساسية في عملية تفكيك العمل وتركيبه، وعلى الرغم من أن الفهم ينفصل عن التفسير أثناء الدراسة، من حيث كونه يهتم بالداخل، والتفسير يعنى بالخارج، كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك آنفا، إلا أنهما يقعان في البوتقة ذاتها وكل واحد منهما يقود الآخر، ولذلك فإن العلاقة التي تجمعهما هي علاقة تكامل وترابط.

- مرحلة التفسير

يعد التفسير في الاتجاه البنيوي أعم وأشمل من الفهم، فهو بخلاف المرحلة السابقة يهتم بمقاربة النص من الخارج في ظل المعطيات التي تحكم فكر الجماعة، كأن تتوقف عند ما هو سياسي واجتماعي، اقتصادي، تاريخي، وثقافي، مع استبعاد العوامل النفسية التي تتنافى مع نظرية غولدمان الذي يركز على اللاشعور الجماعي، ولا تهتم باللاشعور الفردي كما هو عند فرويد (حمداوي، 2020).

ومما لا شك فيه فإن استدعاء العوامل الخارجية هي تساعد على التفسير، التفسير الذي يقوم على التأويل الدياليكتيكي، المادي أو الجدلي. ومن هذا المنطلق يعد التفسير مرحلة بعدية، تلي مرحلة الفهم، فالمعطيات الاجتماعية التي تعكسها المقولات الذهنية، تظهر في شكل بنى أدبية داخل النص، والتي تحتاج إلى الفهم، وهذا الفهم يحتاج إلى تفسير هذه الظواهر الاجتماعية لذلك يعد هذا التكامل بين خطوتي الفهم والتفسير مهمة في القراءة التكوينية.

وهكذا يغدو النص بنية أصغر من مجموع البنى التي يوضحها الناقد، ويربطها بالعوامل الاجتماعية الواعية، ليضمنها في دائرة تحليله. وتجدر الإشارة إلى أن كل عملية يستند فيها الناقد التكويني إلى المعطيات الخارجية للنص، تعتبر إجراء تفسيريا، من منطلق أن النص معطى أدبي وفني لا يكتمل إلا بالبنيات الاجتماعية التي أدت إلى تكوينه.

إن الدراسة المحايثة وفق "البنيوية التكوينية" لا تتم إلا بربط المقولات الذهنية بالبنية النصية التي تشبعت بها. ومن هذا المنظور، ينتقل الباحث إلى التفسير بمجرد البدء في دراسة التماسك الداخلي للنص، ومحاولة فهم نموذجه البنيوي، فيتعزز الفهم بالتفسير، والتفسير بالفهم بشكل متبادل، إذ يجد الباحث نفسه مضطرا للعودة باستمرار للفهم ثم التفسير، أو التفسير ثم الفهم، *"ويعني هذا أنه من الضروري الانتقال إلى خطوة أساسية، وهي تفسير النص خارجيا، بعد فهمه داخليا، بالتركيز على العوامل التاريخية، والسياسية، والثقافية، فالبنية الدالة ذات الطابع الفلسفي لا يمكن أن تبقى ساكنة، بل لابد من إدراجها ضمن بنية أكثر تطورا لمعرفة مولداتها، و أسباب تكوينها، ولذلك سميت بالبنيوية التكوينية"* (حمداوي، 2016، ص 28).

إن الفهم والتفسير عمليتان غير مختلفتان كطريقيتين ذهنيتين، بل إنهما طريقة وحيدة مرتبطة بطرق مختلفة؛ يقول غولدمان:*"لقد قلنا إن الفهم هو أن نضع بنية العمل الأدبي تحت الدراسة، والتفسير ليس إلا رؤية أوسع لهذه البنية، فهو (التفسير) معامل بنائي وظيفي في بنية شاملة، والتي لا ينظر إليها المؤلف بطريقة تجزيئية إلا في الحالات الضرورية كتوضيح تكون العمل المدروس، فيكفي في هذه الحالة أن نأخذ البنية الشاملة لدراستها حتى يصبح الفهم تفسيرا، وهذا البحث التفسيري يجد نفسه مضطرا إلى التواصل مع بنية جديدة أكثرا اتساعا"* (Goldmann, 1970, p. 66).

نستنتج من كلام غولدمان أن الفهم والتفسير متكاملان ومترابطان، فالفهم أضيق من التفسير، بل يمكن أن يحتوي الثاني الأول ويتجاوزه، وإذا كان الفهم وصفا للبنية الدلالية للعمل الأدبي، فإن التفسير هو دمج هذه البنية في بنية أكثر اتساعا وشمولا. وهكذا يوفق لوسيان غولدمان بين علوم الطبيعة (التفسير)، وعلوم الإنسان (الفهم) ويوفق بين النزعة التفسيرية عند "إميل دوركايم" والنزعة التفهمية عند "ماكس فيبر" ضمن بوتقة منهجية واحدة، ويعني هذا أن ليس هناك تعارض حقيقي بين منهج الفهم، ومنهج التفسير" (حمداوي، 2016، ص 26).

خاتمة

من خلال ما تقدم من القول في هذه المقالة، يتبين بأن مسألة الجمع بين منهجي الفهم والتفسير في دراسة الظواهر الاجتماعية والأدبية على حد سواء، صار رهانا إبستيمولوجيا في هذه العلوم من أجل تجاوز الخلاف الحاد بين الخلفيات الفلسفية والإديولوجية للمناهج النقدية والتخفيف من حدة الصراع لن يتحقق إلا من خلال وضع نموذج منهجي تكاملي توفيقي ينطلق من خلفية فلسفية إبستيمولوجية تسعى إلى خلق الالتحام والانسجام بين مكونات العمل الأدبي في صورة شمولية متكاملة، وبالتالي يظل سؤال تفعيل فلسفة التوفيقية والتكاملية في الدراسات الأدبية موضوعا شائكا يحتاج إلى المزيد من الكتابات والاسهامات العلمية والأدبية الرصينة للكشف عن العوائق من جهة وتوفير نماذج وأساليب جد متطورة لخلق التماسك بين الإنتاج الأدبي وعناصره الدلالية والفنية مع بيئته الاجتماعية.

قائمة البيبليوغرافيا

المراجع العربية

- وقيدي، م. (1982). *الابستيمولوجيا الوضعية عند أوغست كونت*.
- غادمير، هـ. (2006). *فلسفة التأويل: الأصول، الأهداف، المبادئ* (م. ش. الزين، الترجمة). الدار العربية للعلوم ناشرون.
- هابرماس، ي. (2001). *المعرفة والمصلحة* (ح. الأصقر، الترجمة). منشورات الجمل كولونيا.
- فلوري، ل. (2008). *ماكس فيبر* (م. ع. مقلد، الترجمة). دار الكتاب الجديدة، بيروت، لبنان.
- كابان، ف.، ودورتيه، ج. ف. (2010). *علم الاجتماع* (أ. حسن، الترجمة). دار الفرقد، دمشق.
- شباط، ع. ح. (2013). *ماكس فيبر والفعل الاجتماعي*. دار ناشري. استرجع من:http://bitly.ws/zjnd
- حمداوي، ج. (2018). *نظريات علم الاجتماع*. شبكة الألوكة.
- فضل، ص. (1998). *البنيوية والنقد الأدبي: النظرية البنائية في النقد الأدبي*. القاهرة: دار الشروق.
- فضل، ص. (2007). *في النقد الأدبي*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- عيلان، ع. (2008). *في مناهج تحليل الخطاب السردي: دراسة*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- حمداوي، ج. (2020). البنيوية التكوينية. *صحيفة المثقف*، العدد 5218.

  تم الاستخراج من الرابط الآتي: https://www.almothaqaf.com/
- حمداوي، ج. (2016). *البنيوية التكوينية بين النظرية والتطبيق*. تطوان: مطبعة الخليج العربي.

المراجع الأجنبية

- Aron, R. (1981). *Les étapes de la pensée sociologique*. Paris : Les Éditions Gallimard.
- Monnerot, J. (1946). *Les faits sociaux ne sont pas des choses*. Paris : Les Éditions Gallimard.
- Dilthey, W. (1992). *Critique de la raison historique, introduction à l'étude des sciences de l'esprit* (Trad. S. Mesure). Paris : Éditions du Cerf.
- Bréchier, P. (2000). *Les grands courants de la sociologie*. Paris : PUF.
- Morin, E. (1984). *Sociologie*. Paris : Fayard.
- Goldmann, L. (1970). *Marxisme et sciences humaines*. Paris : Les Éditions Gallimard.
- Wikipedia : A Free Online Encyclopedia : https://www.wikipedia.org/

Romanization of Arabic Bibliography

- Quaidi, M. (1982). *Al-Abistimologiyya Al-Wad'iyya 'Inda 'August Kunt [Situational Epistemology in Auguste Comte]*.
- Ghadmeer, H. (2006). *Falsafat At-Tawil: Al-Asul, Al-Ahdaaf, Al-Mabade' [Philosophy of Interpretation: Origins, Objectives, Principles]* (M. Sh. Al-Zain, Translator). Arab Scientific Publishers Inc.
- Habermas, J. (2001). *Al-Ma'rifah wa Al-Maslaha [Knowledge and Interest]* (H. Al-Asqar, Translator). Jaml Cologne Publications.
- Flory, L. (2008). Max Weber (M. A. Moukalled, Translator). Dar al-Kitab al-Jadidah, Beirut, Lebanon.
- Kaban, F., & Dortyeh, J. F. (2010). *'Ilm Al-Ijtima' [Sociology]* (A. Hassan, Translator). Dar al-Farqad, Damascus.
- Shabbat, A. H. (2013). *Max Weber Wa Al-Fa'l Al-Ijtima'I [Max Weber and Social Action]*. Nasheri Publishers. Retrieved from: http://bitly.ws/zjnd
- Hamdawi, J. (2018). *Nazariyyat 'Ilm Al-Ijtima' [Sociological Theories]*. Alukah Network.
- Fadel, S. (1998). *Al-Binyuwiyya Wa An-Naqd Al-Adabi: An-Nazariyya Al-Bana'iyya Fi An-Naqd Al-Adabi [Structuralism and Literary Criticism: Structural Theory in Literary Criticism]*. Cairo: Dar al-Shorouk.
- Fadel, S. (2007). *Fi An-Naqd Al-Adabi [In Literary Criticism]*. Damascus: Arab Writers Union.
- Aylan, A. (2008). *Fi Minahij Tahleel Al-Khitab As-Sardi: Dirasa [In the Methods of Narrative Discourse Analysis: A Study]*. Damascus: Arab Writers Union.
- Hamdawi, J. (2020). *Al-Binyuwiya At-Takwiniyya [Structuralist Formalism]*. Al-Muthaqaf Newspaper, Issue 5218. Retrieved from: https://www.almothaqaf.com/

- Hamdawi, J. (2016). Al-Binyuwiya At-Takwiniyya Bayna An-Nazariyya Wa At-Tatbiq [Structuralist Formalism between Theory and Application]. Tétouan: Gulf Arab Printing Press.